موقف الإسلام من اتباع الرسالات الإلهية الأخرى ومن الأنبياء والرسل والكتب الإلهية

إعداد الأستاذ الدكتور
وهبة مصطفى الزحيلي

أبيض

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وخاتم الرسل الكرام، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم إلى الدين الحق منذ بدء الدعوة (١٤٣٦) كانت وما زالت دعوة بناء وتصحيح، للإنسانية جمعاء، في مجتمع متعدد الأديان والمذاهب والآراء، ملتزمة منهج الحق والعدل والحكمة و الموضوعية والتجرد، وتحترم مبنى لواء التوحيد الإلهي، والإيمان بالنبوة والرسالة الناشئة من الوحي الرباني، والاعتقاد باليوم الآخر في عالم القيامة و انتهاء وجود العالم القائم. وغايتها إحقاق الحق، وتأصيل الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته، وإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، لأن السعادة لا تكون إلا بالتدين الصحيح، لأنه ملازم للفطرة الإنسانية، ويحقق طمأنينة النفس، ويروي ظمأ الإنسان إلى التدين وحاجته الماسّة إلى الإيمان.

وهذا ما يدعو إلى بيان العلاقة بين «الإسلام» في دعوته الأخيرة، وبين أتباع الرسالات الإلهية الأخرى، من الجانبين: النظري والواقعي، أو الدعوة والتعايشي.

أما في إطار الجانب النظري فإن الإسلام يدعو إلى تصحيح العقيدة والعبادة ونظام الحياة. وأما في المجال الواقعي فيقر ما عليه الآخرون، مفوضا أمرهم في الحساب إلى الله تعالى، ويتعايش معهم، سواء في داخل البلاد الإسلامية أو غيرها، تجنبا للصراع والتصادم، والتعصب والمقيت وتدمير مقومات الحياة الآمنة، والحفاظ بقدر الإمكان على مقتضيات الجسور المشتركة بين الناس، من غير يأس في تحقيق الغاية الكبرى وهي أن يؤمن الناس جميعا برسالة الإسلام الخالدة كما أوضحها القرآن الكريم.

ومحاور البحث تدور حول قضايا ثلاث هي:

أولاً: موقف الإسلام من أتباع الرسالات الإلهية الأخرى، وهو يقتضي بيان الموقف الدعوي المجرد القاصم على وجود الإقناع العقلي وحده، ثم معرفة مناحي التعايش والإقرار الواقعي من غير رضا قلبي بعقيدة فاسدة، ومعرفة أصول الحوار والجدل، والاعتراف بالحرية الدينية (اعتقاداً وممارسة وتعبيراً) ونبذ التعصب والتفرق، وإشاعة المحبة والتوادد والسلام، واحترام حقوق الإنسان، والحرص على ظاهرة التعارف والتآلف، والتفرغ لبناء الكون وتقدم الحياة.

ثانياً: موقف الإسلام من جميع الأنبياء والرسل، وهو يتطلب الإيمان بهم من غير أي تفريق، وإظهار حقيقة دعوتهم الواحدة في أصولها وجذورها النابتة من الوحي الإلهي، وتكامل رسالاتهم، وإكمال الدين الحق، والتركيز على أخوة الأنبياء في الدعوة، ومطالبتهم جميعا بالإسلام بالمعنى العام أو المشترك: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [**آل عمران**: ١٩].

ثالثا: موقف الإسلام من الكتب الإلهية، ويستدعي ذلك بيان نوعي العلاقة بين المسلمين وغيرهم في هذا الجانب وهما علاقة التصديق والتأييد، وعلاقة الرفض والإنكار.

ومنطلقات الإسلام في هذه المحاور كلها هي إعلان وحدة الدين لا الأديان، ووحدة الوحي الإلهي، ووحدة المصير المشترك في الحساب والمسؤولية، ووحدة الإنسانية مهامها، ووحدة مقاصد الشرائع أو الكليات أو الأصول الخمسة،ووسطية الإسلام ،وضرورة الانفتاح على الآخرين لا الانغلاق ، وعدم التنافي أو التعارض بين النزعة العالمية للإسلام والتعايش الديني والسلمي ، وتبيان الجسور المشتركة بين المسلمين وغيرهم وقضية الجهاد ومتطلبات العيش المشترك ، وأهمية الاندماج المعيشي والانفتاح الحضاري.

موقف الإسلام من أتباع الرسالات الإلهية الأخرى:

الأسس الأخلاقية: يتحدد هذا الموقف في ضوء أساس واضح وهو: أن المسلمين ليسوا أوصياء على العالم بأسره خلافا لما يتوهم الآخرون، وإنما هم أمناء على تبليغ مشتملات الدعوة الإسلامية في العقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق والآداب . وهذا الأساس واضح المعالم في صريح القرآن الكريم الذي وجّه النبي محمداً صلى الله عليه وسلم إلى هذا المنهج في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ [**الغاشية**: ٢٢]. وقوله سبحانه: ﴿**قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾ [**الأنعام**: ٦٦]. ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾ [**الأنعام**: ١٠٧]. دلت هذه الآيات على أن النبي عليه الصلاة والسلام لا سلطان له على أحد من الناس، فكذلك أتباعه.

وينحصر دور النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من كل مسلم يبلغ حكما شرعيا بتبليغ الرسالة، لقوله تعالى: ﴿**وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ**﴾ [**آل عمران**: ٢٠]. ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ [**النور**: ٥٤]. ولكن يجب التبليغ لإظهار الحق وإقامة الحجة على المقصرين من الناس بعدم الاستجابة ، لقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [**المائدة**: ٦٧]. وأمر النبي أتباعه بالتبليغ بقوله في الحديث المتواتر : «نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، فأداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

وكذلك ليس القصد من نشر الدعوة الإسلامية في العالم تحقيق نزعة التفوق والغلبة، وحب السيطرة، فذلك أمر غير مرغوب فيه في شرعة الإسلام، لقوله تعالى: ﴿**تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ**﴾ [**النحل**: ٩٢].

أي أكثر مالاً وأعز سلطانا، فليس هذا من أهداف الإسلام.

وليس من مقاصد الإسلام تحقيق مطامع اقتصادية. وجلب مكاسب مادية. وأخذ ثروات الآخرين، وانتهاب خيراتهم وجباية شيء ظالم من

أموالهم، فقد ألزم الله تعالى كل نبي بالترفع عن ذلك، كما جاء في عدة آيات تبين منهج قصص الأنبياء مع أقوامهم بعبارة واحدة في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠]. ونفى القرآن الكريم عن نبينا عليه الصلاة والسلام قصد مطلب مالي من رسوم أو خراج مالي في قوله سبحانه: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢]. بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المسلمين وغيرهم عطاء واسعا لا يخشى منه الفقر، كقطيع غنم أو ما بين جبلين من الماشية أو مائة من الإبل ، مما لم يألفه العرب وغيرهم من مثل هذا العطاء الجم الذي لا يخشى فيه الفقر ، يتألفهم على الإسلام.

وقد عبر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن هذا المبدأ بقوله: (إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابياً)[(١)].

سبيل الدعوة إلى الإسلام: وسبيل الدعوة إلى الدخول في الإسلام غرس العقيدة بالمنطق والحجة والبرهان العقلي حتى يطمئن الإنسان إلى سلامة اعتقاده وقناعته دون أي مؤثر خارجي من إكراه أو إرهاب، أو إغراء مادي، أو تسلط، أو بسط نقوذ ظالم لا يعتمد على تراض.

- وإذا آثر غير المسلمين البقاء على دينهم، سواء في بلادهم والسلطة الحاكمة منهم لا من غيرهم، أو في بلاد المسلمين والسلطة للمسلمين، فلا يوجد أي مانع من هذا في شرعة الإسلام، ما دام الأمن والسلم والتعاهد والتعامل موفورا، وتترك لهم الحرية فيما يدينون وشعار المسلمين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. وقاعدة المسلمين: «أمرنا بتركهم وما يدينون» فهم أحرار في ممارسة شعائر دينهم والعمل بموجب عقائدهم. ولا يضيّق عليهم في شيء. وذلك ليتحقق مفهوم التعايش الديني والأمني بين مختلف

---

(١) الخراج لأبي يوسف: (ص١٣١)، حلية الأولياء لأبي نعيم: ٣٠٥/٥، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: (ص ٩٤، ١٢٣)..

أتباع الأديان والمذاهب المختلفة وهذا وحده يؤدي للاحتكاك والاندماج، وتقديم كل فريق ما لديه، فينتشر الدين الحق، كما يحدث الآن في العالم الإسلامي وغيره، من غير إكراه ولا إلجاء، وهو المنهج الذي يريده الإسلام، خلافا لتصور المستشرقين وأتباعهم الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف.

ضرورة التعايش الديني: إن مبدأ التعايش الديني بين أتباع الأديان يقرره منهج الإسلام القائم على السماحة في التعامل مع المخالفين ، والمسالمة مع المسالمين ، والدفاع عن الوجود والحقوق ضد المعتدين، وهو ما نص عليه القرآن الكريم في آيتين واضحتين الدلالة وهما في سورة الممتحنة (٩-٨):

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة].

وذلك من أجل إيجاد مجتمع قوي متين، في جبهته الداخلية، مأمون الجانب من أعداء الجبهة الخارجية ، وقوة هذا المجتمع تتطلب أمورا خمسة:

متطلبات التسامح والتعايش:

١- الشعور بأن الناس جميعا هم خلق الله وصنيعته وصبغته أوجدهم ليبقوا ، لا ليقتلوا أو يتعرضوا للإفناء والدمار.

هذا يعني أن الإنسانية من أصل واحد، وهم إخوة في الإنسانية، والأخوة تقتضي المودة ومحبة الخير للآخرين وإنقاذهم من الضلالة والانحراف، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[١]، قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: والمراد بالمحبة إرادة الخير والمنفعة والمحبة الدينية لا المحبة البشرية، ويحم لذلك على عموم الأخوة، حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

دخول الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً(١)، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

٢- تحقيق مبدأ التكافل بين الأمة في مجتمع معين باعتباره ترجمة أو مظهرا للأخوة، وقد تحقق هذا المبدأ في دولة الإسلام، فكان جميع الرعية مشمولين به.في أحوال العجز والمرض والشيخوخة والمحنة ، لتوفير متطلبات الحياء العزيزة الكريمة، والرخاء والسعادة ، فيرتاح الراعي والرعية .

٣- الإحساس بالمسؤولية عن الآخرين في دعوتهم إلى الخير والإيمان باله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، عملا بواجب التبليغ عن الله تعالى، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته)(٢).

٤- الانطلاق من قاعدة المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، قال الإمام علي رضي الله عنه: (الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)(٣). وهذه المساواة قررها القرآن الكريم بنحو أشمل في مطلع سورة النساء مبينا الوحدة الإنسانية في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ...** ﴾.

٥- إن الحرية تلازم تقرير مبدأ المساواة، فالناس جميعا أحرار في اختياراتهم الدينية وغيرها، ولا يكون الحساب في الآخرة إلا على أساس هذه الحرية، فليس من العدل إطلاقا الحساب على ما يكره عليه الإنسان، لذا قال اله تعالى محذرا من التهاون والتقصير في اختيار طريق الخير، واجتناب طريق الشر: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا**

---

(١) شرح الأربعين النووية (ص٣٩).
(٢) أخرجه أحمد والشيخان (البخاري ومسلم) وأبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) نهج البلاغة (ص ١١١).

يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي الشيطان [فاطر: ٥]. وقال سبحانه مهددا المقصرين: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وإن ألزم معاني الحرية تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى ومن مختلف مظاهر الشرك، والمبادرة إلى توحيد الله عز وجل في ألوهيته وربوبيته، فالله وحده هو الإله وهو الرب المربي المتكفل بشؤون عباده وحاجاتهم.

الحوار مع غير المسلمين وأسلوبه: إن من أهم طرق الدعوة إلى الإسلام وجود حوار دائم ومتواصل مع غير المسلمين، لإقناعهم بصحة عقيدة الإسلام وضرورتها وبيان مقومات الرسالة الإسلامية القائمة على الحق والعدل والحكة والرحمة والمصلحة واليسر والسماحة.

والحاجة إلى الحوار تتطلب إلى ثلاثة أمور:

الأول: الحرص على وجود تفاهم بنّاء يؤدي إلى التعايش الديني.

الثاني: إظهار قيمة الإيمان الصحيح بالله في النفوس في كل عصر وزمان، ولا سيّما في عصرنا الحاضر حيث سيطرت المادية على كل شيء في الحياة.

الثالث: إنقاذ الإنسان من ورطة الحيرة والقلق والضياع، وتوفير مستقبل هانئ، وراحة للنفس الإنسانية، ونجاة في عالم الآخرة.

وأسلوب الحوار معروف في منهج الإسلام، فهو يعتمد على معطيات العلم، والهدى والرشاد، وتجنب الأهواء وإتباع أفضل الطرق الحسنة للإقناع دون تشنج ولا تشدد، وسلوك سبيل اللين وإظهار المحبة، واعتماد الحكمة (القول النافع) في الخطاب، وكل ذلك نص عليه القرآن الكريم، فقد ذم الله سبحانه الذين يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

ولابد من وجود القصد الحسن والنية الطيبة لإظهار الحق في الجدل

والحوار، لقوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

ويأمر الله سبحانه التزام منهج مفيد في الحوار، في قوله: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ولا بد من استعمال أسلوب الحكمة في الخطاب منعاً من النفور، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن أمثلة هذا الأسلوب: البعد عن التشنج والتعصُب والقسوَة أو الغلظة أو السب والشتم، أو استعمال الألفاظ المنفرة كألفاظ الكفر والنفاق والضلال والشرك، لأن الهدف هو تحقيق النتيجة من الحوار بأيسر الطرق وأضمنها وأبعدها عن الاستماع والمتابعة،قال الله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ..﴾ [الأنعام: ١٠٨].

والحوار مظهر حضاري بين الأفراد والشعوب، يحقق التقارب والتفاهم، وينمي العلاقات الودية والحسنة، ويساعد على تقدم المجتمع ونموه، ويعمل على إرساء مفهوم الحرية والعدالة والسماحة واليسر، وتقدير عظم المسؤولية وخطورتها، حتى يرقى الإنسان ويحس بعزته وكرامته، لذا فإن الإسلام يدعو إلى حوار الحضارات، وينبذ صراع الحضارات.

التركيز على مفهوم الحرية الدينية: لا يمكن إنجاح الحوار مع الآخرين إلا بإدراك أهمية الحرية الفكرية والدينية وإقرارها أو الاعتراف بها في الإسلام، فهي مظلة التعايش الذي يقره الإسلام ويدعو إليه في المجتمعات، لينعم الناس بالأمن والاستقرار والطمأنينة، وليتحاكموا إلى العقل، وليدركوا حقيقة مصالحهم الدنيوية والأخروية.

وشعار الإسلام في هذا واضح في قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

ومنع الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من ممارسة أي لون من ألوان الإكراه أو الضغط في تغيير العقيدة، لأن الاختلاف من سنن الله تعالى في الكون وهو أحد مظاهر التكامل والتنوع ومعرفة الأضداد ليتميز الحق من الباطل، والخير من الشر، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [**يونس**: ٩٩].

ولا صعوبة في إقناع الآخرين بأحقية الإسلام، لأنه دين الفطرة والحرية والعقل، ودين التقدم والتحضر، ولا مجال فيه للأساطير والخرافات والضلالات والأوهام[1]، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [**الروم**: ٣٠].

ومن مظاهر إقرار الحرية الفكرية والدينية في الإسلام: وجود التعايش الديني في مختلف القرون والعصور منذ بدء الدعوة الإسلامية وإلى يومنا هذا، حيث يعيش غير المسلمين في ديار الإسلام مع المسلمين، دون أي إزعاج أو إشكال، ويمارس غير المسلمين شعائرهم وطقوسهم الدينية في معابدهم، سواء من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) أم من غيرهم كالمجوس ونحوهم، ولهم التعبير بحرية تامة عن مصالحهم ومتطلباتهم، ويتعاملون مع المسلمين في أمان واستقرار، ومودة وتعاون واطمئنان.

نبذ التعصب والتفرق: الإسلام دين قوي متين في كل مشتملاته العقدية والتعبدية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وهو الدين الذي ينتشر في كل مكان بقوته الذاتية وانسجامه مع العقل والمنطق والفكر والعلم، ويعتمد في خطابه للآخرين على محبة الخير والصلاح والنجاة لهم، ويحرص على هداهم وإرشادهم إلى ما هو الأفضل والأحسن والأقوام: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** (٩) **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (١٠) ﴾ [**الإسراء**:].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، أرنولدد (ص٤٨)، الإسلام دين الفطرة والحرية للشيخ عبد العزيز جاويش (ص٣٨).

ولا يخشى على الإسلام من الانهزام في دعوته لدى النقاش مع غير أتباعه، فكان بناؤه على التسامح، وتصورات أتباعه على الدوام منسجمة مع هذا المبدأ الرصين، فلا يعرف المسلمون التعصب والحقد والكراهية أو البغضاء فمن اهتدى فلنفسه، ومن أعرض فلا يضر إلا نفسه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

ويحرص المسلمون على الوحدة الاجتماعية في داخل الوطن الواحد دون إثارة أي حساسيات، أما الاختلاف في الدين فيترك أمر الحساب عليه لله تعالى، دون تدخل من البشر أو اعتراض، وإن كان الله لا يرضى لعباده الكفر، وكذلك المسلمون لا يرضون قلوبهم كفر الكافرين.

وإن وجود جماعات وطوائف كثيرة من غير المسلمين متعايشة مع المسلمين في الوطن الإسلامي على ممر العصور دليل واضح على التزام ظاهرة التسامح(١)، وتجنب أي اضطهاد أو تفرقة طائفية، وهذا ما لازم القادة الفاتحين أو الذين طهروا الأرض المقدسة من رجس الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وغيره.

وقد ذكر أرنولد أمثلة كثيرة على وجود طابع التسامح الإسلامي في التاريخ، سواء في معاملة القبائل العربية أثناء الفتوحات الأولى، أو في إبرام المعاهدات التي عقدت مع سكان البلاد المفتوحة، أو في تعايش المسلمين والمسيحيين في البلاد الإسلامية والعربية، واطمئنانهم على حياتهم وممتلكاتهم وأعراضهم وحقوقهم الدينية والسياسية، وتمتعهم بالحرية الكاملة في ممارسة شعائر هم الدينية، وإقامة كنائسهم في مصر والشام والعراق وغيرها(٢).

ومنشأ التسامح وآفاقه من القرآن الكريم، في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) إن تحسس بعض غير المسلمين من استعمال هذا اللفظ لا يعتمد على فكر صحيح، لأنه لا يراد به النظرة الفوقية أو الدونية أو الامتنان في معاملة الآخرين، وإنما يراد به وجود الصفا النفسي وترك الحزازات، ويسر التعامل.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، أرنولد: (ص٤٧-٦٥، ٣٥٠) ط/ثالثة.

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) ﴾ [المائدة: ٦٩].

أما ظاهرة التعصب والحقد التي قد توجد أحيانا وتؤدي إلى سوء التفاهم فمنشؤها في الغالب غير المسلمين.

إشاعة المحبة والمودة والأمن والسلام:

إن المجتمع الإسلامي لا يعرف إثارة النعرات الطائفية والعنصرية والعرقية، لأن الدين لله وحده، والله وحده يحاسب عباده، ولجميع الناس الحق في حياة آمنة مستقرة، ويحرص المسلمون على إضفاء صفات المحبة والود مع الآخرين، وعلى ضرورة التزام وجود المجتمع الآمن، وتوفير الوداعة المسالمة والتآخي الإنساني، ليتفرغ الناس إلى واجباتهم الحياتية، ويتركوا كل معوقات النهوض والتقدم.

والدين الجامع وهو الإسلام هو الذي يجمع ولا يفرّق، ويجتذب ولا ينفر، وييسر ولا يشدد ولا يعسر، ويعامل الناس معاملة إنسانية رحيمة، لأن المخلوقات كلهم عباد الله، والله أعلم بخلقه، ويعلم ما هم عليه ، وقد رضي بوجود التنوع والاختلاف لحكمة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

احترام حقوق الإنسان: كرَّم الإسلام الإنسان ذاته بغض النظر عن دينه أو مذهبه أو أصله أو عرقه أو انتمائه، فقال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وهذا يوجب على المسلمين احترام أي إنسان، واحترام حقوقه في الحياة والحرية والمساواة والرأي والتعبير والتعليم والتربية، والعمل والضمان الاجتماعي والتملك والمواطنة والتنقل وتوابعها، فأين هذا التوجه وما نسمع الآن من الرئيس الأمريكي الحالي بوش الابن الذي يريد التدخل في شؤون المسلمين وشريعتهم، ويعمل على تغييرها وتغير مناهج التعليم والتربية في البلاد الإسلامية والعبث بأحكام شريعتنا؟

الحرص على ظاهرة التعارف والتآلف: إن دعوة الإسلام العالمية إلى ضرورة التعارف والتآلف بين الإنسان وأخيه واضحة في نصوص القرآن والسنة، سواء بين المسلمين أو غيرهم، فقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [**الحجرات**: ١٣].

والتعارف يقتضي التعاون والتعايش وتبادل الخدمات بين فئات المجتمع الإنساني، ويدفع إلى إشاعة أجواء الأمن والسلم والتفاهم والحوار، وتجنب ألوان الخصومات والمنازعات و إثارة الفتن، لأن هذه الظواهر تضعف المجتمع، وتهدد كيانه، وتجلب الضرر إلى الجميع، وتزرع الفرقة والأحقاد والضغائن بين صفوفه، مما يجعل الأمة مهزومة ضعيفة خائرة القوى أمام أعدائها، وقد حذر القرآن الكريم من الفتنة العمياء في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾ [**الأنفال**: ٢٥]. وحذرَ أيضاً منَ النزَاع والتفرق وإهدار القوى في قوله سبحانه: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [**الأنفال**: ٤٦].

التفرغ لبناء الكون وتقدم الحياة: الإنسان مطالب من ربه أن يبني الكون، ويزيد العمران، ويعمل على تقدم شؤون الحياة، وإقامة معالم المدنية والحضارة، أداء لمسؤولية الأمانة والقيام بالتكاليف الدينية والمدنية، وكلما عمل الإنسان لخير نفسه وأمته، كان مرضيا عند ربه، فقال تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [**التوبة**: ١٠٥].

والعمل عبادة وسعادة، وثمرته طيبة ولكن العمل يتطلب بيئة صالحة أو مناخاً مناسباً وهو الاستقرار والأمان والسلام، ويكون ميراث العمل الصالح تقدم المجتمع والظفر برضوان الله، وإليه تشير الآيات في بعض تفاسيرها: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [**الأنبياء**: ١٠٥]. أي أرض الدنيا ، وقال آخرون : المراد الجنة.

والعمل يتطلب بذل مختلف الجهود وتعبئة طاقات العمل كلها، من أي إنسان مسلم أو غير مسلم.

- موقف الإسلام من جميع الأنبياء والرسل:

ختمت الرسالات الإلهية و دعوات الأنبياء والرسل قاطبة برسالة الإسلام وبنبوته ورسالة محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا يعني أن موقف الإسلام واضح من جميع الأنبياء والرسل، وهو الإيمان بهم جميعا دون أية تفرقة ، فمن كفر برسول كفر بجميع الرسل،لأنهم جميعا مرسلون من الله تعالى لهداية البشرية. وكان الإيمان بالرسل كلهم من أصول الإيمان في شرعة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومنطلقات هذا الموقف خمسة أصول أو مبادئ:

الأول: وحدة المصدر وهو الوحي الإلهي: فلقد أوحى الله تعالى إلى جميع الرسل عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام، وكلفهم بدعوة الناس إلى توحيد الله تعالى، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، وهدايتهم لأرشد الأمور، وأداء العمل الصالح.وإصلاح شؤون الحياة بالأخلاق الكريمة والآداب القويمة والتنافس في الخير وتجنب صنوف الشر. وطلب المسلمون بما طولب به أتباع الرسل السابقين من غير تمييز، قال الله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٦]. هذا هو منهاج المسلم، وهو منهاج أهل الإيمان الحق كلهم.

ويؤكد ذلك آية أخرى في موضوعها، وهي الآية التي كان يذكرها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتبه إلى ملوك و أمراء و رؤساء العالم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وهي قوله سبحانه: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا**

مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ويسن للمصلي تكرار هاتين الآيتين في صلاته كل صباح، لأنهما تربطان المسلم بأصول الرسالات المتقدمة وبالرسل السابقين، وهذا يعني أن الدين أو الدينونة لله تعالى وحده، لا لقوم أو شعب معين أو فئة خاصة: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

الثاني: تكامل الرسالات: الرسالات الإلهية يكمل بعضها بعضا، لأنها تهدف إلى غاية واحدة من الإيمان والعمل الصالح، وكل أتباع رسالة مكلفون بالعمل بم جاء في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وجسد القرآن الكريم وحدة الشرائع وتكامل رسالات الأنبياء في آية واحدة تحدد مدلول هذا التكامل، فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..﴾ [الشورى: ١٣]. ويؤكد ذلك ويوضحه الحديث النبوي الثابت وهو: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لَبنة من زاوية في زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولن: هلا وضعت هذا اللبنة ؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)[(١)].

الثالث: إكمال الدين الحق: كانت الشرائع السابقة منسجمة مع أحوال الأمم والأقوام القديمة ، بحسب ظروف واقع العقل البشري القائم ، والاستعداد النفسي المتوافر، وكانت كل شريعة تعالج وضعا خالصا، حتى تم النضج العقلي وتهيأت البشرية لمقتضيات الشريعة الخاتمة وهو شريعة الإسلام التي أراد الله لها أن تكون الشريعة الدائمة الخالدة المتميزة بالسمو والكمال ، والإحاطة والشمول، والعموم والاتساع للناس جميعا ، والحفاظ على الثوابت ومراعاة مقتضيات التغير والتطور ، والأعراف الجديدة، والمستجدات الطارئة ، وهذا ما حدده القرآن المجيد لحمل الناس على

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الإيمان بكليات الشرائع الإلهية ودعوات الأنبياء المختلفة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [**المائدة**: ٣].

فبالشريعة الخاتمة أتم الله النعمة بفضله ،وأكمل الدين والملة ،ورضي لعباده الإسلام دينا وعقيدة ومنهجا وشريعة.

الرابع: أخوة الأنبياء: الأنبياء والرسل وإن اختلفت أزمانهم وعصورهم، وأمهاتهم وأصول آبائهم، فهم أبناء ملة واحدة، ودينهم واحد، وإخوة متضامنون متكافلون، يكمل بعضهم هود البعض الآخرين، لأنهم يدون جميعا إلى توحيد الله تعالى وعبادته والإيمان باليوم الآخر، ما أجمل ما صوّره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب، فقال فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء إخوة، أولاد عَلات[(١)] : أمهاتهم شتى،ودينهم واحد»[(٢)].

الخامس: دعوة جميع الأنبياء إلى الإسلام بالمعنى العام (إن الدين عند الله الإسلام): الإسلام بالمعنى العام أو المشترك هو: الإيمان بالله وتوحيده، والخضوع والانقياد أو الإذعان لله وحده ولأحكامه شرائعه وهو: الإيمان بالله وتحيده، والخضوع والانقياد أو الإذعان لله وحده ولأحكامه وشرائعه وهو: ما دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين، فهو دين آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط (أبناء وأحفاد يعقوب) وبقية الرسل كداود وسليمان وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، إنه دين واحد ، وملة واحدة ، في أصولها وإن اختلفت بعض فروعها بحسب المناسب في كل زمان ومكان ، وهو المنهج العام الذي أعلنه القرآن بنحو واضح وشامل: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [**آل عمران**: ١٩]، والأمثلة كثير على اتحاد الدين في أصوله: فهذا

---

(١) بنو العَلاَّت: أولاد الرجل من نسوة شتى، سميت بذلك لأن الذي تزوج أخرى على أولى قد كانت قبلها ناهل، ثم عَلَّ من هذه، والعلل: الشرب الثاني، يقال: عَلَل بعد نَهَل، وعلَّه: سقاهالسُّقْية الثانية.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٣) الأصول العامة لوحدة الدين الحق للباحث: (ص٤١-٤٣).

نوح عليه السلام أبو البشر الثاني وصاحب الرسالة العظيمة دعا إلى الإسلام بمفهمه العام، فقال لقومه: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

ومثله إبراهيم الخليل عليه السلام أبو الأنبياء: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ [البقرة].

وهناك آيات مشابهة في (سورة الأنعام ٧٨-٧٩، وسورة آل عمران: ٦٧، سورة البقرة ١٢٧-١٣٠).

وكذلك يعقوب «إسرائيل» عليه السلام إذ قال فيما حكاه القرآن: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وعلى هذا النهج لوط عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥)﴾ [الذاريات].

ومثلهم يوسف عليه السلام حيث قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وجاء سليمان عليه السلام، حيث قال الله سبحانه عنه حكاية عن ملكة سبأ في سورة النمل: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠)﴾ [النمل].

وحينما أعلنت بلقيس ولاءها لسليمان عليه الصلاة والسلام، دخلت في الإسلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ولم يدع موسى عليه السلام إلا إلى الإسلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ

آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ [يونس: ٨٤].

والتوراة تدعو إلى الإسلام لا إلى غيره: ﴿إنَّا أنزلنا التَّوراة فيها هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بهَا النَّبيُّونَ الَّذين أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

وانصاع السحرة حينما تفوق عليهم موسى عليه السلام إلى الإسلام دون خوف من فرعون وتهديهاته، فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ودعا عيسى عليه السلام صراحة إلى الإسلام حيث أجابه الحواريون لدعوته: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عيسَىٰ منْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَاري إلَى اللَّه قَالَ الْحَوَاريُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّه آمَنَّا باللَّه وَاشْهَدْ بأَنَّا مُسْلمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

والإسلام هو دين مؤمني الجن ودين مؤمني الإنس، فقال الجن: ﴿وَأَنَّا منَّا الْمُسْلمُونَ وَمنَّا الْقَاسطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسطُونَ فَكَانُوا لجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن].

إن الإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين، وهو الدعوة الجامعة لرسالاتهم، والإطار العالم الذي يجمع بينهم، لذا كانت دعوة الإسلام بالمعنى الشائع الآن وهو الدعوة الإلهية الخاتمة هي الإقرار برسالات جميع الأنبياء والتصديق بها في أصولها الأولى التي خوطب به الناس، حتى جعل ذلك عنصر أو ركنا من عناصر وأركان الإسلام الحالي: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه﴾ [البقرة: ٢٨٥]. لأن هؤلاء الرسل دعوا إلى الإقرار بوجود الله ووحدانيته، وإلى طاعته والإذعان لحكمه،

هذه هي علاقة الإسلام المشتركة بين جميع الأنبياء والرسل.

وأما علاقة الإسلام القرآني الشائع الآن ومنذ عهد نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، فيحددها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إلَيْكَ الْكتَابَ(١) بالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْه منَ الْكتَاب وَمُهَيْمنًا عَلَيْه﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكتَابَ بالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْه وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإنجيلَ ﴿٣﴾

---

(١) أي القرآن.

مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ..﴾ [آل عمران: ٣، ٤]. أي إن القرآن الكريم الكتاب الكامل الذي أكمل الله به الدين يقرر وجوب التصديق بكون الكتب الإلهية السابقة في أصولها المنزلة على أنبيائها كالتوراة والزبور والإنجيل هي من عند الله، وأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم، والقرآن يؤيدها ويعترف بها، إلا أن له مهمة تكميلية وتصحيحية لما حرِّف وبدل منها، فهو رقيب وشاهد على مضمونها الحقيقي المنزل من عند الله ، ويحكم على متبعيها بوجوب العودة إلى الصحيح الثبت منها ، ويبين انتهاء مهمتها بعد نزول القرآن المجيد، حتى ولو بقيت سليمة ، من التغيير والتبديل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] أي ليس هناك دين مقبول أو مرضي عند الله تعالى بعد نزول القرآن وظهور رسالة محمد عليه الصلاة والسلام سوى الإسلام المعنى العرفي المستقر وهو كما قال قتادة (شهادة أن لا إله إلا الله تعالى، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، وهو دين الله تعالى الذي شرع لنفسه ، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به)[1].

وهذا يدل صراحة أن القرآن هو الذي جسَّد دين الله، وهو المرجع الأخير في هذا الشأن، والمصدر النهائي المتعين أما البشرية للعمل به والاقتباس منه في العقيدة والشريعة والمنهج الأخلاقي ونظام الحياة، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل[2]: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والخلاصة: إن علاقة الإسلام (بالمعنى العرفي القرآني) بالأديان السماوية في صورتها الأصلية الأولى هي علاقة تصديق وتأييد كلي، وأن علاقته به في صورتها المنظورة الحالية علاقة تصديق لما بقي من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها[3].

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٢١١، تفسير القرطبي٤/٤٤، تفسير الألوسي ٣/١٠٦، تفسير ابن كثير ١/٣٥٤.
(٢) في ظلال القرآن للمرحوم سيد قطب: ٦/٧٤٧، ط الخامسة.
(٣) كتاب «الدين» أ.د. عبد الله دراز (ص١٨٩).

- **موقف الإسلام من الكتب الإلهية:**

إن الكتب الإلهية السابقة للقرآن الكريم التي أنزلت على الأنبياء الكرام في صورتها الأصلية، لم يعد لها وجود بالفعل، باعتراف أتباع هذه الكتب، فإنها ضاعت واندثرت، ولم يثبت نقلها وتناقلها عبر التاريخ، وهذه الكتب نحن المسلمين، ولم يثبت نقلها وتناقلها عبر التاريخ، وهذه الكتب نحن المسلمين الآن نؤمن بها إيماناً كاملاً مثل الأيمان بالقرآن الكريم، وعلاقتنا بها في تصديق وتأييد وإقرار كما تقدم.

وإيماننا بالكتب السماوية المنزلة على الرسل الكرام عليهم السلام هي مائة وأربعة كتب: صحف شيث ستون، وصحف إبراهيم ثلاثون، وصحف موسى قبل التوراة والزبور والإنجيل والقرآن أو الفرقان.

وقيل في تعدادها غير ذلك كما روي عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه: (أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)(١).

أما بعض هذه الكتب المتداولة الآن مثل العهد القديم والعهد الجديد (أي التوراة و الإنجيل) فهي من وضع رجال الدين وهي تاريخ لسيرة موسى وعيسى عليهما السلام يحسب رأي الكاتبين بعد قرن أو قرنين من الزمان بعد وفاة موسى وعيسى، ولم تثبت صحة الأحكام الموحى بها من الله تعالى إلا القليل مثل تقرير مبدأ المسؤولية الشخصية لكل مخلوق، وارتباط الإنسان بسعيه ،والوصايا العشر مثل : لا تزن لا تسرق، لا تزاني حليلة جارك ، لا تقتل ، لا تبغض جارك في قلبك، لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك لا تغصب قريبك ولا تسلب، ولا تبت أجرة أجير عندك إلى الغد، ولا تشتم الأصم....الخ(٢).

---

(١) رواه ابن حبان وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق.

(٢) سفر اللاويين ص١٨٩، سفر الخروج ص ١١٩، تثنية الاشتراع: ص٢٨٨، إنجيل متى: ص٨ – ٩، مقارنة الأديان – المسيحية: ١٩٤/٢ د. أحمد شلبي.

- ومنطلقات الإسلام في هذا الموقف عشرة وهي ما يأتي:

أولاً- إعلان وحدة الدين الإلهي:

من المستحيل عقلاً وشرعاً اختلاف الأديان في أصول المبادئ والشرائع والأحكام الأساسية، لأنها صادرة عن مصدر واحد .ووحدة المصدر تقتضي وحدة العقيدة، والنظام، والمنهج، والهدف.

وهذا ما ذكرته الآية المتقدمة: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [**الشورى**: ١٣].

لذا لم تختلف الأديان في أصولها الأولى والمشتركة من عهد آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب.. إلخ إلى خاتم النبيين محمد عليه السلام في الدعوة إلى توحيد الله ، والإيمان باليوم الآخر، وممارسة العمل الصالح، والتزام الأخلاق الكريمة من الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وفعل الخير وترك الشر، وترك عبادة الأصنام وتحريم الشرك بالله، ولأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وهو ما جمعته آية واحدة في القرآن وهي: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [**الأنبياء**: ٩٢]. أي إن الدين واحد، وأصول الشريعة واحدة، ولا تصادم بين دين وآخر فيما نزل على الأنبياء والرسل، وإنما التصادم بسبب التحريف والتغيير للكتب الإلهية السابقة.

وأما الاختلاف الحاصل فهو في الفروع والطقوس، وطرق تحقيق المصلحة، ودرء المفسدة.

وبه يتبين أن الدعوة إلى توحيد الأديان في صورتها الحالية كفر وضلال، لأن ما عدا الإسلام اشتمل على الحق والباطل، وعلى التوحيد والشرك، وعلى الإيمان ببعض الرسل دون بعض، وعلى إنكار رسالة محمد بن عبد الله، وإنكار مشتملات القرآن ، وعلى الأساطير والخرافات، وعلفى الوثنية والشرك ، مثل الزعم بأن العزير إله أو ابن إله ، وأن المسيح إله أو

ابن إله، وهذا ما حكاه القرآن، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

في أول صفحة في الإنجيل الحالي: «هذا كتاب إلهنا وربنا يسوع المسيح»، «كتاب العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح»[1] وعبارات رجال الدين المسيحي في كل مناسبة بدءاً من الباب الذي سمعته مشافهة وبقية رجال الدين المسيحي يقولون: قال الرب كذا، قال الرب يسوع. وهي العبارة المتكررة في الأناجيل.

ثانياً- وحدة المصير والحساب:

مصير جمع الخلائق يوم القيامة إلى الله ربهم، حيث يجمع الله الأولين والآخرين ويحاسبهم وحده، دون تدخل أحد من الناس ، فالسلطان المطلق في الآخرة هو لله الواحد القهار، دون استعانة بأحد، ولا شفاعة لأحد إلا بإذن الله ، قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

وما دام المصير واحدا، والمرجع إلى الله وحده، فجدير بالناس كافة أن يؤمنوا بإله واحد، وهو الله الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وهو الخالق والرازق والمهيمن، والذي إذا قال للشيء: كن فيكون.

ثالثاً: وحدة الوحي الإلهي.

الوحي من الله عز وجل بواسطة جبريل الأمين وحي واحد على جميع الأنبياء والمرسلين، والوحي يتضمن التعاليم والأحكام والشرائع الإلهية، وهو

---

(١) طبع جمعية الكتاب المقدس. بيروت ١٩٤٦.

واحد في مبدئه وغايته لدى جميع الرسل الموحى إليهم، قال الله تعالى مخاطبا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وبما أن الوحي واحد، فالموحى به واحد أيضاً، إلا إذا حرّف وبدّل، مما يوجب اتحاد أتباع الأديان كلها. قال الله تعالى: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨١]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

رابعاً: وحدة الإنسانية:

الناس جميعاً أمة واحدة وهم عباد الله تعالى، تعهدهم بالرعاية والعناية عن طريق النبوات والكتب الإلهية، ووضع لهم في نهاية إنزال الكتب بالقرآن المجيد منهجاً عقدياً وتعبدياً وإصلاحياً واحداً لإنقاذهم من الظلمات إلى النور، ومن الباطل إلى الحق، وخاطبهم الله تعالى بخطاب إلهي واحد وهو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

إن وحدة الخطاب الإلهي ووحدة المخاطبين متلازمان، فلا يصح أن يكون بينهم اختلاف على الدين والإيمان والعمل الصالح، الأخلاق، واستدعى ذلك أن يلتقوا في مظلة رسالة إلهية واحدة هي رسالة القرآن، ليحققوا لأنفسهم النجاة في عالمي الدنيا والآخرة، والسعادة وعز الدارين، فيكون كتابهم الإلهي الخالد الذي جسّد كل مضامين الكتب السابقة هو القرآن الكريم ، ونطبق عليهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

خامساً- وحدة المقاصد (الأصول الخمسة أو الكليات الخمس):

إن أصول الديانات أو الشرائع خمسة وهي الحفاظ على الدين (العقيدة) والنفس، والعقل، والنسب أو العرض، والمال، فتكون هذه الأصول أو

الكليات الخمس المقررة في كل دين أساس الحكم على صحة هذا الدين وبقائه وخلوده. وبما أن الكتب الإلهية السابقة قد فقدت من الوجود ليتهيأ الفراغ التام لشريعة القرآن ، فيكون المحكم القاطع هو شريعة الإسلام التي تحتضن بدقة وشمول هذا الأصول الخمسة ، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في آيات كثيرة منها:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (16) ﴾ [المائدة].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٠].

إن التزام هذه المقاصد يحقق وحدة الوجود الإنساني، ووحدة الدين الإلهي القائم على التسامح والوضوح، والتزام الحق والحرية والمساواة، والعدل، والرحمة والوحدة، والبعد عن الفرقة والاختلاف في الدين.

وكانت هذه المقاصد التي لا محيد للعقل الرشيد من القناعة بها هي السبب في إقبال الشعوب الآسيوية والإفريقية وبعض الفئات الأوروبية والأمريكية من الرجال والنساء على الدخول في الإسلام، بل ومساندة الطوائف المسيحية الشرقية لقوات المسلمين الفاتحة، وتقويض أركان الدولتين الرومانية الشرقية والفارسية(١).

سادساً-وسطية الإسلام وكونه دين الفطرة:

إن سماحة الإسلام وكونه ملتقى الأديان كلها للشرق والغرب والشمال والجنوب له ثلاثة أسباب:

١- أنه دين الفطرة أي يساير طبيعة خلق الإنسان واستعداداته وإمكانياته الطبيعية، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- أنه دين الوسطية والاعتدال من غير تشدد ولا تساهل ولا إفراط ولا

---

(١) الأصول العامة لوحدة الدين الحق للباحث (ص٩-١١).

تفريط، ولا غلو ولا إكراه أو إرهاب. كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوسط: العدول وأهل الخير والفضل، وهذا أهم مقومات خلود الإسلام وقابلية تطبيقه في كل زمان ومكان، ويؤكده قوله صلى الله عليه وسلم: «خير الأمور أوساطها»(١).

٣- أنه دين اليسر والسماحة، فلا إعنات ولا إحراج ولا مشقة غير معتادة في تكاليفه وتعاليمه، كما قال الله تعالى عقب تقرير كثير من الأحكام الشرعية مثل فدية السام وقضاء المسافر والمريض ونحوهما الصوم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ومثل شروعية جهاد المعتدين: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا)(٢). أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سابعاً- عدم التنافي أو التعارض بين العالمية والتعايش الديني:

إن نزعة الإسلام العالمية لمختلف الشعوب والأمم لا تتعارض مع مبدأ الإسلام في تقرير التعايش الديني في مجتمع متعدد الأديان والمذهب والأفكار، فالإسلام بسعته يسع الجميع، لانفتاحه على أمم الدنيا، دون تصادم ولا تنازع، ولبعده عن الانغلاق، لأنه دين يريد تعميم خيره على الجميع، ويريد إحقاق الحق، وتوفير الأمن الداخلي والسلام الخارجي، قال الله تعالى مقرراً عالمية الإسلام: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال سبحانه أيضا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ويدعوا الإسلام إلى تلاقي الشعوب وتبادل العلوم والمعارف والخبرات والأخذ والعطاء، لما فيه نفع الإنسان ، قال عليه الصلاة والسلام: (الكلمة لحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)(٣).

---

(١) أخرجه البيهقي عن كنانة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه ابن عساكر عن علي رضي الله عنه،

ثامناً- الجسور المشتركة مع أهل الكتاب:

يرفض الإسلام الشرك والوثنية رفضاً مطلقاً، لأن الشرك ، وكر الخرافات والأباطيل ، ويضر بتقدم الإنسانية ويوقف حضارتها، ولكنه من جانب آخر أقام جسوراً مشتركة مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لوجود عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر ، لذا أحل الله ذبائح أهل الكتاب والتزوج من نسائهم، وإن لم يحل لهم التزوج بالمسلمات، لأن المسلمين يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل فلا يثور نزاع أو تصادم، هم لا يؤمنون برسالة النبي صلى الله عليه وسلم فيقع الجدل والخصام ، قال الله تعالى مقرراً حكم بعض هذه الجسور: ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ...** ﴾ [**المائدة**: ٥].

وإذا وجدت قاعدة الإيمان فيكون المتدينون صفاً واحداً أمام الإلحاد والمادية والعلمانية، ثم يحث الحوار في بعض القضايا العقدية أو التشريعية.

تاسعاً- الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين:

الإسلام أشد ما ينشده الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي، والسلم الدولي، لأن هذا المناخ ملائم لانتشار الإسلام، وهو الغاية الكبرى، لذا دعا الإسلام إلى السلم في كثير من الآيات مثل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** ﴾ [**البقرة**: ٢٠٨]، ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [**الأنفال**: ٦١].

وأما الجهاد فإنما هو مشروع لرد عدوان المعتدين، وحماية دعاة الإسلام، وإنقاذ المستضعفين، قال الله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [**البقرة**: ١٩٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم أن كل من هادنه من الكفار لم يقاتله، وهذه كتب السير والحديث والتفسير والفقه والمغازي تنطق بهذا، وهذا متواتر من سنته، فهو لم يبدأ أحداً من الكفار

بقتال، ولو كان الله أمره أن يقتل كل كافر، لكان يبتدئهم بالقتل والقتال)(١).

أي فإنما القتال لمن قاتلنا، وقد قرر هذا كثيرون من الفقهاء القدامى والمعاصرون، فلو التزم غير المؤمنين جانب السلم حقيقة، لكفَّ الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة وصحبه عن قتالهم(٢)، لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [**الأنفال**: ٦١].

وأما فرض ضريبة الجزية على غير المسلمين المواطنين في الدولة الإسلامية فهو مقابل الدفاع عنهم وحماية ممتلكاتهم وأموالهم وأراضيهم، قال الماوردي وغيره: (ومن دخل في الذمة -العهد- من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الإسلام يلتزم له ببذلها (أي الجزية) حقان: أحدهما - الكف عنهم، والثاني - الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين.روى نافع عن ابن عمر قال: كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أن قال: «احفظوني في ذمتي»(٣).

وتسقط الجزية إذا أسلم الذي أو ضعف أو افتقر أو شارك في الجهاد(٤).

عاشراً - ضرورة الاندماج المعيشي والانفتاح الحضاري:

لغير المسلمين حق المواطنة في ديار الإسلام ما عدا الحرمين الشريفين مع الحجاز، وهم كالمسلمين في الحقوق والواجبات، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، فدماؤهم وأعراضهم وأموالهم مصونة لا يُعتدى عليها، قال صلى الله عليه وسلم: (ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة)(٥)، أخرجه أبو داود والبيهقي. (من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم

---

(١) رسالة القتال له (ص ١٢٥).
(٢) الرسالة الخالدة للأستاذ المرحوم عبد الرحمن عزام (ص ١٠٤)، العلاقات الدولية في الإسلام للباحث (ص ٢٨).
(٣) الأحكام السلطانية له (ص ١٣٨)، الأحكام السلطانية لأبي يعلي (ص ١٤٥).
(٤) الأحكام السلطانية لأبي يعلي: (ص ١٤٤)، الخراج لأبي يوسف (ص ٧٠)، آثار الحرب للباحث (ص ٦٩٥).
(٥) أخرجه أبو داود والبيهقي.

القيامة)[1]. أخرجه أحمد والبخاري من حديث أنس رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

وحينئذ يتحقق الاندماج المعيشي بين المسلمين وغيرهم، للحفاظ على كرامة الإنسان وعزته ومكونات شخصيته.

ويتبادل المسلمون وغيرهم العلوم والمعارف والخبرات، ليتحقق الانفتاح الحضاري، وليرقى المجتمع، ويسعد الإنسان، لتعم رحمة الإسلام جميع الموجودات، عملاً بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [**الأنبياء**: ١٠٧].

ومن أدلّ الدلالات على أن الإسلام دين يرعى الحضارة ويحافظ عليها أن ه يحرِّم على المسلمين في المعارك الحربية التدمير لغير ضرورة حربية، ولا قطع الأشجار، ولا تخريب العمران.

وأختم ذلك بوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقادة أحد جيوشه إلى الشام المستمدة من جملة وصايا نبوية: (وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن)[2].

والخلاصة: إن علاقة الإسلام تغير المسلمين علاقة بناء ومحبة، وخير، وسلام، وإسعاد، وحضارة، ورقي، فما يقره الإسلام من تعاليمهم وكتبهم فهو ما يتفق مع أصول وحدة الدين الإلهي، وما يرفضه أو ينكره فهو لتصحيح الخطأ، ولا يؤثر التصحيح على مسيرة الإقرار والاستقرار والأمان والسلام.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) أخرجه أحمد والبخاري من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري ومالك في الموطأ والبيهقي (المنتقى على الموطأ ٣/١٦٧).